البروتستانتية الكالفانية وأثرها في المجتمعات الحديثة

الولايات المتحدة الامريكية انموذجاً

Calvinist Protestantism and Its Impact on Modern Societies
The United States of America as a Case Study

م.د.صلاح الدين مرعي حسن

Dr. Salah Al-Din Mar'i Hassan

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية صلاح الدين

Ministry of Education / General Directorate of Education of Salah Al-Din

الكلمات المفتاحية:الكالفينية، البروتستانتية، جون كالفن، الهوية الدينية، الفكر السياسي، القيم الاجتماعية.

Keywords: Calvinism, Protestantism, John Calvin, religious identity, political thought, social values.

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر البروتستانتية الكالفينية في المجتمعات الحديثة، مع اتخاذ الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجًا تطبيقيًا. وقد تناول البحث نشأة الكالفينية على يد جون كالفن، وأبرز مبادئها العقدية والفكرية، مثل سيادة الله المطلقة، والاختيار الإلهي، والانضباط الأخلاقي، وأثر هذه المبادئ في تشكيل البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات الغربية. كما ناقش البحث العلاقة بين الكالفينية ونشوء الرأسمالية الحديثة، من خلال ترسيخ قيم العمل الدؤوب والادخار والاستثمار والمسؤولية الفردية، فضلاً عن دورها في دعم الفكر الديمقراطي وترسيخ مفاهيم الحرية الدينية والعقد الاجتماعي والفصل بين السلطات.

وتوصلت الدراسة إلى أن الكالفينية أسهمت بصورة كبيرة في بناء الهوية الثقافية والدينية الأمريكية، وفي تشكيل منظومة القيم الاجتماعية المرتبطة بالعمل والانضباط والتعليم والاعتماد على الذات. كما أظهرت الدراسة تأثير الكالفينية في السياسة الخارجية الأمريكية من خلال مفاهيم الرسالة العالمية والاختيار الإلهي والاستثنائية الأمريكية. وناقشت الدراسة كذلك أبرز الانتقادات الموجهة إلى أطروحة ماكس فيبر حول العلاقة بين الكالفينية والرأسمالية، وأجرت مقارنة بين آثار الكالفينية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، مع بيان بعض آثارها الفكرية والثقافية في المجتمعات الإسلامية. وخلص البحث إلى أن الكالفينية تجاوزت حدودها الدينية لتصبح منظومة قيمية وثقافية ما زالت مؤثرة في المجتمع الأمريكي والعالم الغربي حتى الوقت الحاضر.

Abstract:

This research aims to study the impact of Calvinist Protestantism on modern societies, using the United States of America as a case study. The research examines the origins of Calvinism, founded by John Calvin, and its most prominent doctrinal and intellectual principles, such as the absolute sovereignty of God, divine election, and moral discipline. It also explores the impact of these principles on shaping the economic, political, social, and cultural structures of Western societies. Furthermore, the research discusses the relationship between Calvinism and the rise of modern capitalism, through the consolidation of values such as hard work, saving, investment, and individual responsibility. It also examines Calvinism's role in supporting democratic thought and establishing concepts of religious freedom, the social contract, and the separation of powers.

The study concludes that Calvinism has significantly contributed to the formation of American cultural and religious identity and to shaping the system of social values related to work, discipline, education, and self-reliance. The study also demonstrated the influence of Calvinism on American foreign policy through its concepts of universal mission, divine election, and American exceptionalism. It further discussed the most prominent criticisms leveled against Max Weber's thesis on the relationship between Calvinism and capitalism, and compared the effects of Calvinism in Europe and the United States, while also highlighting some of its intellectual and cultural impacts on Muslim societies. The research concluded that Calvinism transcended its religious boundaries to become a value and cultural system that continues to influence American society and the Western world to this day.

المقدمة

تُعَدُّ الإصلاحات البروتستانتية من أبرز التحولات الدينية والفكرية التي شهدتها القارة الأوروبية في القرن السادس عشر؛ إذ أدت هذا الإصلاحات إلى تغييرات عميقة في البنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للعالم الغربي، ومن بين أبرز رواد هذا الإصلاح اللاهوتي جون كالفن (1509–1564م)، الذي أسس المذهب الكالفاني، وهو أحد المذاهب البروتستانتية الكبرى التي أثّرت بعمق في تشكيل المجتمعات الحديثة، لاسيما في العالم الأنجلوساكسوني، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية.

وليست الكالفينية مجرد حركة لاهوتية؛ بل تتضمن كذلك رؤية شاملة للحياة، تسعى إلى تفسير العلاقة بين الإنسان والإله من جهة، وبين الدين والمجتمع والدولة من جهة أخرى، وقد انعكست هذه التصورات على نظام الحكم والأنظمة الاقتصادية والسياسية والقيمية في المجتمعات التي تأثرت بها، ولعل الولايات المتحدة الأمريكية تُعَدُّ النموذج الأوضح لتأثير الكالفينية؛ حيث ساهمت الكالفينية في تشكيل الهوية الثقافية والسياسية لهذا البلد منذ نشأته وحتى اليوم.

وعلى هذا فإن دراسة أثر البروتستانتية الكالفينية في المجتمع الأمريكي تتيح لنا فهمًا أعمق للعديد من الظواهر الحديثة، مثل صعود الرأسمالية، والديمقراطية الليبرالية، وأخلاقيات العمل، والتدين الفردي، وأكثر من ذلك توضح لنا بجلاء أيدولوجيات واستراتيجيات السياسات الخارجية الأمريكية، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يهدف إلى تحليل جذور الكالفينية ومبادئها، واستعراض انعكاساتها على المجتمعات الحديثة، مع التركيز على الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجًا.

ونتناول هذه الدراسة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الكالفينية وأثرها في المجتمعات الحديثة.

المبحث الثاني: الكالفينية وأثرها في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الثالث: نقد الكالفينية ومقارنة آثارها على أوربا وأمريكا.

تحديد المفاهيم المرتبطة بالبحث:

1- البروتستانتية:

البروتستانتية هي حركة إصلاح ديني ظهرت في أوروبا في القرن السادس عشر على يد مارتن لوثر، احتجاجًا على ممارسات الكنيسة الكاثوليكية، لاسيما موضوع صكوك الغفران، وكان من أهم أسسها التأكيد على كون الكتاب المقدس مصدرًا وحيدًا للسلطات الدينية، ورفض وساطة رجال الدين بين الله والإنسان (شاخت، 1990، ص. 112).

2- الكالفينية:

الكالفينية هي مذهب بروتستانتي إصلاحي أسسه جون كالفن، يركز على سيادة الله المطلقة، والقدرية، وأهمية العمل الدؤوب دليلًا على الخلاص، ولم تكن تلك فقط عقيدة دينية، بل هي نظام اجتماعي أخلاقي أثّر في مختلف جوانب الحياة، خاصة في المجتمعات الأنجلوسكسونية (جونستون، 2001، ج2، ص. 233).

3- المجتمع الحديث:

المجتمع الحديث هو المجتمع الذي تشكلت بنيته على أسس الدولة القومية، والنظام الرأسمالي، والعقلانية البيروقراطية، مع وجود قيم كالحرية الفردية والديمقراطية، وهذه ارتبطت كثيرًا بالأصول الدينية البروتستانتية (فيبر، 1905، ص. 45).

4- **البيوريتانية:** هي حركة دينية إصلاحية بروتستانتية نشأت في إنجلترا خلال أواخر القرن السادس عشر، وهدفت إلى "تطهير" الكنيسة الإنجليزية من بقايا الشعائر والممارسات الكاثوليكية، مستندة إلى تعاليم جون كالفن في التشديد على الاختيار الإلهي، والالتزام بالأخلاق والانضباط والعمل الدؤوب. (ناصف، 1998، ج2، ص 210).

5- **الدول الأنجلوسكسونية:** الدول الأنجلوسكسونية هي مجموعة من الدول التي توحدها اللغة الإنجليزية كنظام تواصل رئيسي والإرث الثقافي والسياسي البريطاني، وتشمل عادة: المملكة المتحدة، الولايات المتحدة، كندا، أستراليا، ونيوزيلندا.

- تعتمد على نظام القانون العام (Common Law).
- تتقاسم جذورًا تاريخية تعود إلى الاستعمار البريطاني.
- تتميز بأثر بارز في الاقتصاد والسياسة العالمية Held, D., & McGrew, A. (2007) .(Globalization/Anti-Globalization: Beyond the Great Divide. Polity Press).

6-الولايات المتحدة الأمريكية:

دولة فيدرالية تقع في شمال قارة أمريكا الشمالية، تتألف من خمسين ولاية ومنطقة العاصمة الفيدرالية واشنطن دي سي. تُعدّ جمهورية دستورية اتحادية تقوم على مبدأ فصل السلطات (تنفيذية، تشريعية، قضائية). تمتاز بتنوّع جغرافي واسع واقتصاد كبير يعدّ من الأكبر عالميًا، ويبلغ عدد سكانها مئات الملايين. عاصمتها السياسية واشنطن، وأبرز لغاتها الإنجليزية.

7- الأنموذج: المِثالُ يُجعل أُسوةً يُحتذى به، وقيل: هو مثال الشيء يُتَصوَّر من صورة عمل أو غيره.(ابن منظور، الجزء 5، ص 441).

وجاء في المعجم الوسيط: "الأنموذج: المثال الذي يُجعل قدوة أو صورة لغيره. (المعجم الوسيط. الجزء 2، ص 967).

فروض البحث:

1. **الفرض الأول:** أن الكالفينية أسهمت في ترسيخ أخلاقيات العمل والانضباط؛ مما ساعد في نشوء الرأسمالية الحديثة في الولايات المتحدة.
2. **الفرض الثاني:** أن الكالفينية أثرت على بنية النظام السياسي الأمريكي، بما يتضمنه من قيم الحرية الفردية، والرقابة المتبادلة، والمسؤولية،
3. **الفرض الثالث:** أن الكالفينية ساعدت في تشكيل الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الأمريكي، حيث صار الدين عنصرًا جوهريًّا في الحياة العامة والخاصة.
4. **الفرض الرابع:** أن الكالفينية ساهمت في صياغة السياسات الخارجية الأمريكية، كمفاهيم (الرسالة الحضارية)، (الاختيار الإلهي).

الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات أثر البروتستانتية عامة والكالفينية خاصة في نشوء الرأسمالية والديمقراطية الغربية، ومنها

– دراسة ماكس فيبر (1905) في كتابه (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية)، حيث بينت كيف أن الأخلاق البروتستانتية ولا سيما الكالفينية ساعدت على نشوء الرأسمالية الحديثة (فيبر، ص 101).

– دراسة روبرت بيللا (1967) عن (الدين المدني الأمريكي)، والتي أظهرت دور الكالفينية في تكوين الوعي السياسي الأمريكي (بيللا، الدين في أمريكا، ص87).

– دراسات عربية حديثة مثل كتاب عبد الرحمن بدوي (تاريخ الفكر الديني الغربي) (1993) الذي تناول أثر الإصلاح الديني على نشوء الحداثة الأوروبية.

– دراسة عبد الله العروي: (الإيديولوجيا العربية المعاصرة) (1970)، حيث أشارت إلى أثر البروتستانتية في تكوين الحداثة الغربية.

هذه الدراسات مجتمعة تؤكد أن البروتستانتية الكالفانية لم تكن مجرد حركة دينية، بل كانت عاملًا مؤثرًا في مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة في:

1. تقديم فهم أعمق للعلاقة بين الدين والحداثة من خلال نموذج الكالفينية.
2. الكشف عن الجذور الدينية للعديد من الظواهر السياسية والاقتصادية في الولايات المتحدة.

3. إثراء الدراسات العربية حول الفكر الديني الغربي من خلال تسليط الضوء على الكالفينية كمذهب مؤثر.

4. إتاحة المجال للمقارنة بين تأثيرات الكالفينية في الغرب وتأثيرات الحركات الدينية في المجتمعات الإسلامية.

تساؤلات الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة عن مجموعة من التساؤلات، أهمها:

1- ما هي أبرز المبادئ الفكرية والعقدية للكالفينية؟

2- كيف أثرت الكالفينية على المجتمع الأمريكي في أبعاده السياسية والاقتصادية والثقافية؟

3- ما علاقة الكالفينية بنشوء الرأسمالية الحديثة؟

4- كيف ساهمت الكالفينية في صياغة الهوية الدينية والسياسية للولايات المتحدة؟

5- ما مستقبل الكالفينية في ظل التغيرات العالمية الراهنة؟

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تتبع نشأة الكالفينية وتطورها، وتحليل أثرها على المجتمعات الحديثة، كما تستفيد من المنهج المقارن، عبر مقارنة الكالفينية بغيرها من الحركات الدينية وتأثيراتها، إضافة إلى المنهج السوسيولوجي الذي يركز على دراسة العلاقة بين الدين والبنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

المبحث الأول: نشأة الكالفينية وأثرها في المجتمعات الحديثة.

نشأة الكالفينية:

وُلد جون كالفن عام 1509 في فرنسا، وتلقى تعليماً قانونياً ولاهوتياً. تأثر بأفكار مارتن لوثر، لكنه طور نسقاً لاهوتياً خاصاً به، يركز على سيادة الله المطلقة، والاختيار الإلهي، والانضباط الأخلاقي. وقد هرب إلى جنيف حيث أسس نظاماً دينيًّا واجتماعيًّا صارماً أصبح نموذجاً للكالفينية (جونستون، 2001، ج2، ص. 256).

انتشار الكالفينية:

انتشرت الكالفينية في سويسرا وفرنسا وهولندا وإنجلترا، ثم حملها المهاجرون البروتستانت إلى أمريكا الشمالية. وقد شكلت أساساً ثقافيًّا ودينيًّا للمستوطنين الأوائل الذين اعتبروا أنفسهم (شعب الله المختار).

المبادئ العامة:

- سيادة الله المطلقة في كل جوانب الحياة.

- مفهوم (الاختيار الإلهي) حيث يُختار بعض الناس للخلاص وآخرون للهلاك.
- التركيز على العمل والانضباط بوصفهما أدلة على النعمة الإلهية.
- إقامة مجتمع منضبط أخلاقيًّا يراقب أفراده بعضهم بعضاً.

المطلب الأول: أثر الكالفينية في الاقتصادات الغربية:

كانت الكالفينية إحدى أكثر الحركات الدينية تأثيرًا في تشكيل البنية الاقتصادية للمجتمعات الغربية الحديثة، ولا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية، وإذا كان ماكس فيبر قد صاغ أطروحته الشهيرة عن العلاقة بين (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية)، فإن الكالفينية تمثل جوهر هذه العلاقة، حيث أسهمت مبادئها في إرساء أسس المنظومة الاقتصادية الحديثة (فيبر، 2004، ص 112).

أسس المنظومة الاقتصادية الحديثة وفقاً للكالفينية:

1- فكرة روح الرأسمالية:

تقوم الكالفينية على عقيدة الاختيار المسبق (Predestination) ، ومعناها أن مصير الإنسان قد قدره الله سلفًا، وأن الإنسان لا يملك تغيير قدره، وحيث إن الإنسان لا يستطيع التأكد من خلاصه، فقد ارتأت الكالفينية أن العمل الدؤوبَ، والنجاح الاقتصادي يشكلان دلالات على (البركة الإلهية)، وهذا التصور أدى إلى ما سماه فيبر (روح الرأسمالية)، بمعنى الميل إلى العمل الجاد، والانضباط الذاتي، والسعي المستمر نحو تحقيق الأرباح باعتباره واجبًا دينيًّا وأخلاقيًّا (فيبر، 2004، ص 115).

2- العمل عبادة:

أضفى كالفن على العمل بعدًا دينيًّا غير مسبوق؛ فليس العمل عنده مجرد وسيلة دنيوية، أو وسيلة للعيش، بل صار نوعًا من أنواع العبادة والطاعة لله، وهذا متوافق مع نصوص متعددة في كتاباته الحاثة على الانضباط والجدية (كالفن، 1987، ج1، ص 98).

وقد انعكس هذا على المجتمعات البيوريتانية في أمريكا، حيث اعتُبر العمل الشاق جزءًا من الالتزام الديني، واعتُبر التقصير في العمل تقصيرًا دينيًّا وأخلاقيًّا.

3- الادخار والاستثمار:

شددت الكالفينية على ضرورة تجنب الترف والإسراف، واعتبرت أن الثروة ليست غاية في ذاتها، وإنما هي وسيلة لخدمة الله والمجتمع، ولهذا فإن المؤمن الكالفيني عليه أن يسعى إلى استثمار أمواله في المشاريع المنتجة بدلًا من إنفاقها في المتع الشخصية (فيبر2004، ص 120)، وقد انعكست تلك القيم على السلوكيات الاقتصادية في المستعمرات الأمريكية الأولى؛ حيث كانت المجتمعات البيوريتانية معروفةً بالانضباط المالي، والقدرة على بناء مؤسسات اقتصادية راسخة.

4- المستعمرات الأمريكية والاقتصاد:

مع هجرة البيوريتان إلى العالم الجديد في أوائل القرن السابع عشر، جلبوا معهم هذه الرؤية الاقتصادية القائمة على العمل والانضباط والادخار؛ فأسسوا مستعمرات قائمة على التعاون، وفي الوقت نفسه تشجع الفرد على النشاط الاقتصادي الحر، ويذكر عبد المجيد ناصف أن التجربة البيوريتانية في نيوإنجلاند شكلت نواة (المجتمع الرأسمالي المنضبط) الذي سرعان ما أصبح سمة عامة للولايات المتحدة (ناصف، 1998، ج2، ص 217).

5- انعكاسات الكالفينية في التاريخ الأمريكي:

ظهرت آثار الأخلاق الكالفينية بوضوح في مراحل لاحقة من التاريخ الأمريكي:

- **الزراعة والتجارة:** اعتمد البيوريتان في البداية على الزراعة البسيطة، ثم سرعان ما توسعوا في التجارة البحرية والداخلية، مستفيدين من قيم الانضباط والإدارة المالية الدقيقة.

- **الصناعة المبكرة:** مع الثورة الصناعية، وجدت الولايات المتحدة أرضًا خصبة لتطبيق القيم الكالفينية، حيث انتشرت المصانع والمشروعات الصناعية على أساس من العمل الجاد، والربح المشروع (الهاشمي، 2010، ص 145).

- **الرأسمالية الحديثة:** حتى اليوم، لا يزال أثر الأخلاق الكالفينية واضحًا في الاقتصاد الأمريكي من خلال تمجيد (العمل الشاق) باعتباره الطريق الأقرب والأوثق للنجاح، واعتبار (الثراء) دليلًا على الكفاءة والجدية.

6- البنية المؤسسية:

لم يقتصر تأثير الكالفينية على الأفراد، بل تعدى ذلك إلى المؤسسات، فقد أسهمت في نشوء الشركات التجارية، والجمعيات التعاونية، والبنوك، على أساس من الثقة والانضباط، كما أن الجامعات الأمريكية الأولى – مثل هارفارد ويل– كانت مؤسسات بيوريتانية هدفت إلى إعداد رجال دين واقتصاديين يتمتعون بروح الانضباط الكالفيني (هنتنغتون ، 2005، ص 101).

7- تحليل اقتصادي اجتماعي:

أوجدت الكالفينية توازنًا بين النزعة الفردية والمصلحة العامة؛ فهي من جهة شجعت الفرد على العمل والنجاح، ومن جهة أخرى قيدت سلوكه بالاستخدام العقلاني للثروة، وهذا التوازن أسهم في بناء نموذج اقتصادي قوي في الولايات المتحدة. وقد أشار حامد الهاشمي إلى أن الإصلاح الديني الأوروبي – والكالفينية خصوصًا– كان وراء بروز (الاقتصاد العقلاني) الذي يميز الغرب الحديث (الهاشمي، 2010، ص 149).

8- استمرار الأثر حتى اليوم:

رغم العلمنة المتزايدة في المجتمع الأمريكي، فإن الكثير من قيم العمل والادخار والنجاح الاقتصادي لا تزال مرتبطة في المخيلة الجمعية بالأخلاق البروتستانتية؛ فالثقافة الأمريكية المعاصرة تمجد (النجاح الفردي)، وتعتبر الفشل غالبًا نتيجة لكسل أو تقصير شخصي، وهو تصور ذو جذور كالفينية واضحة.

وبذلك يتضح أن الكالفينية لم تقتصر على كونها تيارًا دينيًا، بل كانت محركًا أساسيًّا للتطور الاقتصادي الأمريكي؛ فقد أسست لثقافة ترى في العمل الدؤوب والنجاح الاقتصادي دليلًا على الخلاص والرضا الإلهي، وأسهمت في وضع اللبنات الأولى للرأسمالية التي لا تزال تحكم العالم الحديث حتى اليوم.

المطلب الثاني: أثر الكالفينية في البنية السياسة الأمريكية:

تمهيد: لم يكن تأثير الكالفينية مقتصرًا على المجال الاقتصادي فقط، بل امتد بعمق إلى البنية السياسية للمجتمع الأمريكي، فقد ساعدت المبادئ الكالفينية على بلورة الرؤية الأمريكية الخاصة للحكم والحرية، وهذا انعكس لاحقًا في المؤسسات الدستورية والسياسية للولايات المتحدة، وإذا كانت أوروبا قد شهدت في القرن السادس عشر تحولات سياسية بفعل الإصلاح الديني، فإن أمريكا قد مثلت الميدان الأوسع لتجسيد هذه القيم السياسية على أرض الواقع (ناصف، تاريخ الفكر الغربي، 1998، ج2، ص 214).

1- مفهوم (العقد الاجتماعي) في الكالفينية:

الكالفينية لم تطرح فقط عقائد لاهوتية، بل أسست لفهم جديد للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، فهي ترى أن الله هو مصدر السلطة، ولكن هذه السلطة تُمارَس من خلال عقد بين الحاكم والجماعة، فإذا أخلّ الحاكم بواجباته، فمن حق الشعب مقاومته، بل وعزله، وقد أثرت هذه الفكرة لاحقًا في نظرية العقد الاجتماعي عند كثير من المفكرين، مثل جون لوك، الذي استند في كتابه (رسالتان في الحكم المدني) إلى التراث البروتستانتي في مقاومة الطغيان (الهاشمي، ص 152).2- البيوريتان وبذور الديمقراطية

2- **المشاركة في صنع القرار:** حين هاجر البيوريتان إلى أمريكا في القرن السابع عشر، حملوا معهم تصورًا سياسيًا يقوم على المشاركة الشعبية في صنع القرار. ففي مستعمرة "ماساتشوستس" مثلًا، جرى تأسيس مجالس تشريعية منتخبة لإدارة شؤون المستعمرة، وهو ما اعتبره عبد المجيد ناصف "بذور الديمقراطية الأمريكية" (ناصف، 1998، ج2، ص 217). وهكذا كانت الكالفينية وراء ترسيخ مبدأ أن السلطة يجب أن تُمارس برضا المحكومين، لا بفرض القوة.

3- **الحرية الدينية والسياسية:**

من أبرز ما ميز الكالفينيين هو إيمانهم العميق بحرية الضمير، صحيح أن البيوريتان الأوائل كانوا صارمين أحيانًا تجاه المخالفين، لكن الفكرة الأساسية التي زرعوها تمثلت في أن لكل فرد الحق في أن يعبد الله وفقًا لقناعته الخاصة، هذه الفكرة سرعان ما تحولت إلى مبدأ سياسي عام: (حرية المعتقد وحرية الرأي)، وقد انعكس ذلك في وثيقة الحقوق الأمريكية (Bill of Rights) التي نصت على حرية الدين والتعبير (هنتنغتون، 2005، ص 90).

4- الفصل بين السلطات:

من النتائج المباشرة للكالفينية أيضًا أنها شجعت على الحد من السلطة المطلقة، وضرورة توزيعها؛ وحيث إن الإنسان ميّال بطبعه إلى الخطأ، فيجب ألا تتركز السلطة في يد واحدة، بل يجب فصلها بين هيئات متعددة تراقب بعضها بعضًا، وانتقلت هذه الفكرة إلى الدستور الأمريكي الذي أقر الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية (الهاشمي، 2010، ص 160).

5- الأخلاق السياسية الكالفينية:

السياسة عند الكالفينيين ليست مجالًا دنيويًّا منفصلًا عن الدين، بل هي امتداد للمسؤولية الأخلاقية، فالحاكم يجب أن يكون رجلًا تقيًّا ملتزمًا بقيم العدل والعمل، كما أن المواطن عليه واجب الطاعة حال التزام الحاكم بالعقد، وتجب عليه المقاومة إذا خالفه. وهذه الأخلاق السياسية أسهمت في تكوين قادة أمريكيين أوائل رأوا في أنفسهم (مكلفين برسالة إلهية) لقيادة المجتمع (كالفن،1987، ج2، ص 145).

6- أثر الكالفينية على الدستور الأمريكي:

تأثر المؤسسون للولايات المتحدة بالمبادئ البروتستانتية عمومًا، والكالفينية خصوصًا، منها مبدأ (حكم الشعب بالشعب ولأجل الشعب) الذي يعكس روح العقد الاجتماعي الكالفيني، كما أن الإصرار على الحقوق الفردية وحرية المعتقد مستمد بشكل مباشر من الحرية الدينية التي نادت بها الكالفينية؛ ومن ثم يمكن القول إن الدستور الأمريكي ثمرة نضج طويل للقيم الكالفينية في المجال السياسي (فيبر، 2004، ص 132).

7- الثقافة السياسية الأمريكية:

لا يزال الأثر الكالفيني واضحًا حتى اليوم في الثقافة السياسية الأمريكية؛ فالمجتمع الأمريكي يميل إلى تقديس الحرية الفردية، ويعتبرها قيمة عالية تتقدم على غيرها، كما أن الخطاب السياسي الأمريكي مشبع بالمفردات الدينية التي تعكس الرؤية الكالفينية، فترى أن الأمة لها (رسالة خاصة) في العالم، وهو ما يظهر مثلًا في استخدام عبارة (أمة تحت الله) (One Nation under God) في الخطاب الرسمي (هنتنغتون، من نحن؟ الهوية الوطنية الأمريكية في مواجهة العولمة، 2005، ص 143).

8- الكالفينية وفكرة (المدينة على جبل):

من التصورات السياسية اللاهوتية التي رسخها البيوريتان في أمريكا فكرة أن مجتمعهم هو (مدينة على جبل) فيجب أن يكون قدوة للعالم كله، وهذه الفكرة استمرت في السياسة الخارجية الأمريكية، حيث ترى نفسها قائدة للنظام العالمي، وناشرة لقيم الحرية والديمقراطية (ناصف، 1998، ج2، ص 220).

يتضح إذًا الكالفينية أسهمت بشكل حاسم في تشكيل البنية السياسية الأمريكية؛ فقد زرعت مبادئ العقد الاجتماعي، والحرية الدينية، والفصل بين السلطات، وأضفت على السياسة بعدًا أخلاقيًا لا يزال حاضرًا حتى اليوم. ولعل هذا ما يجعل من الولايات المتحدة أنموذجًا فريدًا في تجسيد القيم الكالفينية في المجال السياسي.

المطلب الثالث: أثر الكالفينية في البنية الاجتماعية للولايات المتحدة الأمريكية:

لم يكن أثر الكالفينية مقتصرًا على الاقتصاد والسياسة فحسب، بل امتد بعمق إلى البنية الاجتماعية للمجتمع الأمريكي. فالقيم الكالفينية ساعدت في صياغة نمط الحياة اليومية، وأنماط العلاقات الاجتماعية، وتوجهات الثقافة العامة، مما جعل الولايات المتحدة مجتمعًا مميزًا في حداثته. ويمكن القول إن الكالفينية مثلت (روح المجتمع الأمريكي) بقدر ما مثلت (روح الاقتصاد والسياسة) فيه (فيبر،2004، ص 140).

1- الفردية والمسؤولية الذاتية:

من أبرز ما تركته الكالفينية في المجتمع الأمريكي هو تعزيز قيمة الفردية، فالفرد الكالفيني مسؤول أمام الله مباشرة، دون حاجة إلى وساطة كنسية أو رجال دين. هذه الفكرة انعكست اجتماعيًا في شعور المواطن الأمريكي بالمسؤولية الذاتية عن مصيره، وعن نجاحه أو فشله. ولهذا نجد الثقافة الأمريكية تميل إلى تحميل الفرد مسؤولية إنجازاته، وتقلل من شأن العوامل الخارجية (هنتنغتون، 2005، ص 87).

2- أخلاقيات العمل والانضباط:

كما سبق أن أشرنا في الجانب الاقتصادي، فقد رسخت الكالفينية مفهوم أن العمل عبادة؛ مما أدى إلى بروز صورة (الإنسان المجتهد) كنموذج مثالي، فالأمريكي المثالي في الثقافة العامة هو الذي ينهض مبكرًا، يعمل بجد، ويحقق نجاحه بتعبه، ويجانب الكسل والترف، وهذا النمط الاجتماعي أصبح معيارًا للقبول والاحترام في المجتمع (فيبر، 2004، ص 145).

3- التعليم والمعرفة:

اعتبر الكالفينيون التعليم واجبًا دينيًّا وأخلاقيًا، فقد حث جون كالفن أتباعه على القراءة والكتابة؛ لفهم الكتاب المقدس، ومن ثم شجعوا على إنشاء المدارس والجامعات، وقد أسس البيوريتان

جامعة هارفارد عام 1636م بهدف إعداد قادة دينيين متعلمين (ناصف، 1998، ج2، ص 225). ومن هنا أصبح التعليم قيمة اجتماعية عليا في الولايات المتحدة، مما ساعد على بروزها لاحقًا كقوة علمية عالمية.

4- النزعة المحافظة:

أضفت الكالفينية على المجتمع الأمريكي صبغة محافظة أخلاقيًا، فقد شددت على قيم العفة، والاعتدال، والانضباط السلوكي، واحترام القانون، ولا يزال هذا التراث الأخلاقي حاضرًا في قطاعات واسعة من المجتمع الأمريكي، خصوصًا في الولايات الجنوبية والوسطى التي تعرف اليوم باسم (الحزام الإنجيلي) (الهاشمي، 2010، ص 170)، وتظهر هذه النزعة المحافظة في المواقف الاجتماعية مثل قضايا الإجهاض، الزواج، والمثلية الجنسية.

5- التضامن المجتمعي:

رغم الفردية القوية، فإن الكالفينية شجعت أيضًا على التضامن والتكافل الاجتماعي داخل الجماعة الدينية، فقد كان المجتمع البيوريتاني ينظر إلى نفسه باعتباره (جسدًا واحدًا)، وإذا فشل أحد أفراده كان ذلك عبئًا على الجميع، وتطورت هذه الفكرة إلى ثقافة العمل التطوعي، والجمعيات الخيرية، والمنظمات غير الربحية التي تميز المجتمع الأمريكي حتى اليوم (كالفن، 1987، ج2، ص 188).

6- صورة الآخر:

أثار موقف الكالفينية من (الآخر) جدلاً واسعاً؛ فهي منحت أتباعها شعورًا بالتميز والاختيار الإلهي، إلا أنها كثيرًا ما نظرت إلى الآخرين باعتبارهم أقل شأنًا أو غير مباركين، وقد انعكس ذلك اجتماعيًّا في نزعة (المركزية الأمريكية)، أي النظر إلى الولايات المتحدة باعتبارها مجتمعًا فريدًا ومتفوقًا، وهذا ما أشار إليه صموئيل هنتنغتون حين قال: إن الأمريكيين يرون أنفسهم (شعبًا استثنائيًا) (هنتنغتون، 2005، ص 143).

7- الحراك الاجتماعي:

أدت القيم الكالفينية إلى ترسيخ مبدأ أن النجاح متاح للجميع إذا التزموا بالعمل والانضباط، ومن هنا ظهرت فكرة (الحلم الأمريكي) الذي يقوم على أن أي فرد، مهما كان أصله متواضعًا، يمكنه أن يحقق الصعود الاجتماعي من خلال جهده الشخصي، وهذه الفكرة صارت جزءًا من الهوية الاجتماعية الأمريكية (الهاشمي، 2010، ص 175).

8- الدين والهوية:

لا يمكن فهم الهوية الاجتماعية الأمريكية دون إدراك أثر الكالفينية؛ فقد شكلت الكالفينية تصورًا مفاده أن الأمة الأمريكية (أمة تحت الله)، وأن المجتمع كله مرتبط بمسؤولية دينية، وهذا وضح

بشكل جلي اليوم؛ فرغم أن العلمانية رسمية في المجتمع ، إلا أن الدين يبقى جزءًا من الحياة الاجتماعية الأمريكية؛ حيث يظهر في المناسبات العامة، والتعليم، وحتى في السياسة اليومية (فيبر، 2004، ص 148).

يتضح من هذا أن الكالفينية لعبت دورًا مركزيًّا في تشكيل المجتمع الأمريكي؛ فهي التي غرست قيم الفردية، وأخلاقيات العمل، والنزعة المحافظة، والتضامن الاجتماعي، وصاغت صورة المجتمع ككيان متميز ذي رسالة خاصة، وبذلك يمكن القول: إن البنية الاجتماعية الأمريكية هي في جوهرها نتاج مباشر للروح الكالفينية.

المطلب الرابع: أثر الكالفينية في القيم الاجتماعية الأمريكية

تُعدّ القيم الاجتماعية من أبرز المجالات التي تجلّى فيها تأثير الكالفينية على المجتمع الأمريكي. فقد أسهمت العقيدة الكالفينية في تشكيل نمط مميز من القيم والسلوكيات الفردية والجماعية، وقد انعكست في الحياة اليومية للشعب الأمريكي، وصارت جزءًا أصيلًا من الثقافة الوطنية، نذكر لذلك أمثلة، منها:

- **أول هذه القيم (أخلاقيات العمل):** فقد أكد كالفن أنّ العمل ليس مجرد وسيلة للعيش، بل هو دعوة (Calling) إلهية يؤديها الإنسان بإخلاص، وأنّ الاجتهاد والإنتاجية في العمل هما تعبير عن إيمان الفرد، ووسيلة لإظهار نعم الله في حياته (Weber, Max, 1905, p. 62). ومن هنا ظهر ما عُرف بـ (أخلاق العمل البروتستانتية) التي جعلت العمل قيمة أخلاقية عليا في المجتمع الأمريكي، و اعتبرته أساسًا للتقدم الاقتصادي والاجتماعي.

- **أمَّا القيمة الثانية فهي (الانضباط الذاتي):** فقد ركزت الكالفينية على أهمية ضبط النفس والعيش وفق مبادئ التقشف والاعتدال، وقد انعكس هذا على الثقافة الأمريكية في شكل التقدير الكبير للادخار، والالتزام بالقوانين، والابتعاد عن الإسراف واللهو الزائد، وهذه القيم ساعدت في بناء مجتمع منظم قادر على التخطيط بعيد المدى (Morgan, Edmund S. *The Puritan Dilemma: The Story of John Winthrop*, 1958, p. 119).

- **والقيمة الثالثة (المسئولية الفردية):** فقد أعلت الكالفينية من شأن المسئولية الفردية؛ إذ اعتبرت أنّ الخلاص شأن شخصي، وأنّ الإنسان مسئول أمام الله عن أعماله واختياراته، وانعكس هذا البعد افي القيم الأمريكية المرتبطة بالاعتماد على النفس (Self-Reliance)، وتحمل المسؤولية الفردية، واعتبار النجاح أو الفشل نتيجة مباشرة لاجتهاد الفرد وليس للحظ أو الوساطة (Emerson, , 1841, p. 15).

- **والقيمة الرابعة قيمة (المجتمع المتعاهد):** فقد انطلقت الكالفينية من مفهوم (العهد) مع الله من أجل تأسيس مجتمع قائم على التعاون والالتزام المتبادل. وهذا ما انعكس في تقاليد المجتمع المحلي الأمريكي، حيث تكونت الجمعيات الخيرية، والمجالس المحلية، والكنائس، كإطار لتجسيد هذه الروح التعاقدية (Miller, Perry. s, 1956, p. 88).

- **والقيمة الخامسة قيمة (التعليم الأسري والتنشئة الأخلاقية):** فقد أولت الكالفينية أهمية كبرى للأسرة؛ لكونها الخلية الأساسية في المجتمع، ورأوا أنّ التربية الأخلاقية والدينية تبدأ من البيت؛ لذلك ظلّت الأسرة الأمريكية متأثرة لفترة طويلة بالمبادئ الكالفينية في الانضباط، واحترام السلطة الأبوية، وغرس القيم الدينية منذ الصغر (Rutman, Darrett B., 1630-1649*, 1965, p. 67).

وفي العصر الحديث، ورغم العلمنة المتزايدة للمجتمع الأمريكي، ما تزال العديد من هذه القيم حاضرة بقوة، مثل المسؤولية الفردية، والانضباط، وتقديس العمل، والاعتماد على الذات، وهي ذات القيم التي ساعدت الولايات المتحدة على أن تصبح قوة عالمية متميزة بثقافة إنتاجية عالية، وروح مجتمعية نشطة.

إذن، يمكن القول إنّ الكالفينية لم تقتصر على المجال الديني أو الاقتصادي والسياسي، بل أسست لمجموعة من (القيم الاجتماعية) التي شكَّلت هوية المجتمع الأمريكي، ورسخت في داخله مزيجًا من الانضباط الفردي والالتزام الجماعي، مما جعله نموذجًا مميزًا بين المجتمعات الحديثة.

المطلب الخامس: أثر الكالفينية في الهوية الدينية الأمريكية:

تمهيد شكّلت الكالفينية أحد الأعمدة الرئيسة في بناء الهوية الدينية للولايات المتحدة الأمريكية. فمع أن أمريكا شهدت تعددية دينية واسعة منذ نشأتها، إلا أنّ الكالفينية، خاصة عبر البيوريتان، لعبت دورًا مركزيًّا في رسم ملامح التدين الأمريكي وخصائصه، ونذكر بعض سمات التدين الأمريكي فيما يلي:

1- **أول ما تمتاز به الهوية الدينية الأمريكية المتأثرة بالكالفينية هو (الإيمان بالاختيار الإلهي):** فقد حمل المستعمرون الأوائل فكرة كونهم (شعب مختار)، أو (شعب العهد الجديد)، وأنّ وجودهم في (العالم الجديد) هو تحقيق لإرادة الله في إقامة أمة متميزة لهم، وهذا الوعي عزز من شعور الأمريكيين بأنهم أمة استثنائية ذات رسالة دينية وسياسية في العالم (Winthrop, Johity, 1630, p. 47).

2- **(التركيز على التجربة الدينية الفردية):** حيث أكدت الكالفينية أنّ الخلاص شأن فردي بين الإنسان وربه، لا دخل للوساطة الكنسية به، ولا علاقة له بالهرمية الدينية، وهذا ما أسس لروح

التدين الأمريكي القائم على الحرية الدينية وتعدد الطوائف؛ مما أدى إلى تنوع الكنائس الأمريكية واستقلالها بذاتها، دون سلطة مركزية عليا كما هو الحال في الكاثوليكية (Gaustad, Edwin S. erica, 1990, p. 103).

3- التدين والعمل: وهي سمة جوهرية في التدين الأمريكي، فقد شددت الكالفينية على أنّ الإيمان لا يقتصر على الطقوس والشعائر، بل يظهر في السلوك العملي اليومي، ولاسيما في العمل والالتزام الأخلاقي. وهذا جعل التدين الأمريكي مرتبطًا بالواقع العملي، حيث يقاس التدين بمدى تأثيره في السلوك والإنتاجية. (Noll, Mark A., 1992, p. 178).

4- ساهمت الكالفينية في ترسيخ (التعددية الدينية) في أمريكا: فرغم صرامة البيوريتان في بداياتهم، إلا أنّ إصرارهم على حرية الضمير، ورفض السلطة الكنسية المطلقة فتح المجال لاحقًا أمام حرية المعتقد، وظهور الطوائف الإنجيلية والمعمدانية والميثودية وغيرها. ومن هنا صارت الولايات المتحدة الأمريكية دولة تُعرف بالتنوع الديني ضمن إطار ثقافي واحد متشبع بالكالفينية. (Hatch, , 1989, p. 67).

5- ولعل أهم ما ميّز الهوية الدينية الأمريكية الكالفينية هو (الاندماج بين الدين والسياسة): فالقيم الدينية الكالفينية لم تُفصل عن الحياة العامة، بل بقيت حاضرة في الخطاب السياسي والاجتماعي؛ لذلك نجد أنّ الكثير من الرؤساء الأمريكيين يستخدمون لغة دينية في خطاباتهم، فيستحضرون المفاهيم الدينية كالعهد، والشعب المختار، والرسالة العالمية (Marsden, George M., 1990, p. 152).

ورغم التراجع النسبي للكالفينية في صورتها اللاهوتية الصارمة، إلا أنّ أثرها العميق ما يزال حاضرًا في الهوية الدينية الأمريكية، سواء في الإيمان بالحرية الدينية، أو في الشعور بالتميز والاختيار، أو في التدين العملي المرتبط بالقيم الأخلاقية والالتزام الاجتماعي.

إذن، يمكن القول إنّ الكالفينية كانت بمثابة البذرة التأسيسية) للهوية الدينية الأمريكية، حيث أرست الأسس التي جمعت بين الحرية الفردية، والالتزام الجماعي، والتعددية الطائفية، والرسالة العالمية، مما جعل الهوية الدينية الأمريكية متفردة بين الأمم الحديثة.

المبحث الثاني

الكالفينية وأثرها في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية

المطلب الأول: الكالفينية والعلاقات الدولية للولايات المتحدة:

لا يقتصر تأثير الكالفينية على الداخل الأمريكي فحسب، بل امتد ليترك بصمته العميقة في صياغة رؤية الولايات المتحدة للعالم، وفي تشكيل سياستها الخارجية وعلاقاتها الدولية. فقد

ارتبطت الكالفينية بمفهوم "الرسالة العالمية" أو "المهمة الإلهية"، وهو ما انعكس في السلوك السياسي والدبلوماسي للولايات المتحدة منذ نشأتها وحتى العصر الحديث.

أولًا: (فكرة الرسالة الأمريكية):

انبثقت من الكالفينية فكرة أنّ الولايات المتحدة هي (أمة العهد الجديد) التي اختارها الله لتكون مثالًا أخلاقيًا للعالم. هذا الإيمان بالاختيار الإلهي جعل الأمريكيين ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مسؤولون عن نشر قيم الحرية والديمقراطية في العالم، وقد تجلى ذلك في خطابات العديد من الزعماء الأمريكيين الذين وصفوا بلادهم بأنها "منارة للحرية" أو "مدينة فوق التل" (Winthrop, John. 1630, p. 49).

ثانيًا: (القدر المتجلي والتوسع الإقليمي):

في القرن التاسع عشر، تبلورت عقيدة (القدر المتجلي) (Manifest Destiny) التي بررت التوسع غربًا باعتباره خطة إلهية، ورغم أنّ هذا المفهوم ارتبط بالسياسة الداخلية والتوسع نحو المحيط الهادئ، إلا أنّه شكّل لاحقًا قاعدة فكرية لتبرير التوسع الخارجي، والتدخل في شؤون الدول الأخرى (Stephanson, Anders., 1995, p. 55).

ثالثًا: الدبلوماسية الأخلاقية:

تأثرت السياسة الخارجية الأمريكية بالكالفينية في تبني خطاب أخلاقي يقوم على أنّ التدخلات الأمريكية ليست مجرد مصالح سياسية واقتصادية، بل (واجبات أخلاقية) تجاه العالم، وقد ظهر هذا بوضوح في سياسات الرئيس وودرو ويلسون (1913–1921)، الذي انطلق من رؤية مسيحية –كالفينية– في طرحه لمبدأ (حق تقرير المصير للشعوب)، وربطه بإقامة نظام عالمي عادل (Knock, Thomas J., 1992, p. 101).

رابعًا: الحرب الباردة وصراع الخير والشر:

خلال الحرب الباردة، استحضرت الولايات المتحدة الأمريكية التراث الكالفيني في تصوير الصراع مع الاتحاد السوفيتي على أنه مواجهة بين (الخير والشر)، أو بين (أمة مؤمنة) و(أمة ملحدة)، وهذا الخطاب الديني ساعد في تبرير سياسات التدخل والهيمنة، وتعبئة الرأي العام الأمريكي (Marty, Martin E. *Righteous Empire: The Protestant Experience in America*, 1970, p. 233).

خامسًا: السياسة الأمريكية بعد 11 سبتمبر:

في العصر الحديث، وخصوصًا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، عاد البعد الكالفيني بقوة في خطاب الرئيس جورج دبليو بوش الذي صوّر (الحرب على الإرهاب) بأنها (مهمة إلهية) هدفها نشر الحرية والديمقراطية، وقد ربط بوش بين القيم الأمريكية والرسالة الدينية، مؤكدًا على أنّ

الولايات المتحدة ليست فقط دولة قوية، بل صاحبة (نداء أخلاقي) للعالم (Bsh, George W. Decision Points, 2010, p. 112).

إذن، يمكن القول إنّ الكالفينية أثرت في تشكيل (الرؤية الأمريكية للعلاقات الدولية)، حيث منحتها بعدًا رساليًّا وأخلاقيًّا، فالأمة الأمريكية لا ترى نفسها مجرد دولة قومية، بل مشروعًا يحمل رسالة كونية، وهو ما جعلها أكثر ميلًا إلى التدخل في الشؤون العالمية تحت مبررات دينية وأخلاقية، وهو ما يزال واضحًا حتى اليوم في كثير من التوجهات السياسية للخارجية الأمريكية.

المطلب الثاني: الكالفينية وأثرها في الهوية الثقافية الأمريكية والدول الأنجلوساكسونية:

تمثل الكالفينية أحد أهم المكونات الثقافية والدينية في العالم الأنجلوساكسوني، لاسيما في بريطانيا وأمريكا الشمالية؛ حيث أسهمت بشكل مباشر في صياغة الهوية الثقافية والقيم المجتمعية لهذه الشعوب، ومن خلال تحليل السياقات التاريخية والاجتماعية، يمكن القول إن الكالفينية لم تكن مجرد عقيدة دينية، بل كانت إطارًا حضاريًّا متكاملًا ساهم في بناء نظم التعليم والسياسة والأخلاق العامة، ونتناول ذلك من خلال عدة نقاط أساسية:

أولًا: (الجذور البريطانية للكالفينية):

شكّلت الكالفينية في بريطانيا أساس الهوية البروتستانتية التي ميّزت الإنجليز عن الكاثوليك في القارة الأوروبية، ومن خلال حركة التطهير (Puritanism) التي انبثقت من الكالفينية، جرى ترسيخ قيم الانضباط الأخلاقي والعمل الجاد، وهي قيم أصبحت لاحقًا جزءًا من (الثقافة الوطنية) البريطانية. ويشير محمد السماك إلى أن البروتستانتية الكالفينية ساعدت على بروز مفهوم (الشعب المختار) لدى الإنجليز، وهو ما انعكس في نظرتهم التوسعية والإمبريالية لاحقًا (السماك، البروتستانتية والسياسة الدولية، 1998، ص. 75).

ثانيًا: (انتقال الكالفينية إلى أمريكا الشمالية)):

عندما هاجر البيوريتان من إنجلترا إلى (العالم الجديد)، حملوا معهم القيم الكالفينية بوصفها نموذجًا لبناء مجتمع جديد يقوم على العهد مع الله. وقد تجسدت هذه الرؤية في بناء مستعمرات مثل (ماساتشوستس) التي اعتُبرت (مدينة فوق جبل)، أي نموذجًا أخلاقيًّا للعالم بأسره. ويرى رضوان السيد أن هذه الرؤية أسست للهوية الثقافية الأمريكية بوصفها أمة ذات رسالة دينية وسياسية في آن واحد (السيد، 1997، ص. 201).

ثالثًا: (أثر الكالفينية في الهوية الأنجلوساكسونية الحديثة):

ساهمت الكالفينية في صياغة القيم المشتركة بين بريطانيا والولايات المتحدة والدول الأنجلوساكسونية الأخرى مثل كندا وأستراليا، وتتمثل هذه القيم في الفردية، تقديس الحرية،

والاعتقاد بأن النجاح الاقتصادي انعكاس للنعمة الإلهية. ويؤكد محمد عابد الجابري أن هذه القيم الدينية تحولت مع مرور الزمن إلى مكونات أساسية في العقل السياسي الغربي الحديث، خصوصًا في نسخته الأنجلوساكسونية (الجابري، 1996، ص. 134).

رابعًا: (البعد الثقافي والسياسي):

أثرت الكالفينية كذلك في الأدب، والخطاب السياسي، والمناهج التعليمية. فاللغة الإنجليزية ذاتها تأثرت بالترجمات البروتستانتية للكتاب المقدس، مما منحها صبغة أخلاقية ودينية متماسكة، كما انعكست القيم الكالفينية في الديمقراطية البرلمانية البريطانية، ثم في النظام الدستوري الأمريكي الذي منح الأفراد حرية دينية وسياسية غير مسبوقة (المسيري، ، 2002، ج2، ص. 412).

فترتب على ما سبق أن الكالفينية أسهمت في تشكيل هوية ثقافية أنجلوساكسونية تقوم على التوازن بين الحرية الفردية والانضباط الأخلاقي، وبين العمل المادي والالتزام الديني. وقد كانت هذه الهوية أحد أسرار التفوق الحضاري للدول الأنجلوساكسونية في العصر الحديث، وجعلت من الكالفينية إطارًا مرجعيًّا لا يزال مؤثرًا حتى اليوم.

المبحث الثالث

نقد الكالفينية ومقارنة آثارها على أوربا وأمريكا

المطلب الأول: نقد أطروحة فيبر حول الكالفينية والرأسمالية:

تُعد أطروحة ماكس فيبر حول العلاقة بين الكالفينية ونشوء الرأسمالية الحديثة من أكثر الأطروحات إثارة للجدل في الفكر السوسيولوجي. ففي كتابه الشهير (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية– 1905)، ذهب فيبر إلى أنّ القيم الدينية الكالفينية، خصوصًا مفهوم "الدعوة" (Calling) وفكرة "الاختيار المسبق"، شكّلت أساسًا نفسيًّا وأخلاقيًّا لظهور الرأسمالية الحديثة (Weber, Max., 1905, p. 78). ورغم الأهمية الكبيرة لهذا الطرح، إلا أنّه تعرض لجملة من الانتقادات التي تستحق الوقوف عندها، وهي:

1– الانتقادات التاريخية:

يرى بعض المؤرخين أنّ الرأسمالية لم تنشأ حصرًا في البيئات الكالفينية؛ فإيطاليا الكاثوليكية شهدت في العصور الوسطى نشوء مراكز تجارية ومصرفية كبرى في فلورنسا والبندقية، وذلك قبل ظهور الكالفينية بوقت طويل، وهذا يشير إلى أنّ العوامل الاقتصادية والسياسية لعبت دورًا أكبر من العامل الديني في نشوء الرأسمالية (Samuelsson, Kurt. 1957, p. 45).

ثانيًا: الانتقادات السوسيولوجية:

انتقد آخرون التعميم الذي وقع فيه فيبر حين ربط القيم الكالفينية بالرأسمالية الحديثة، فالكثير من المجتمعات البروتستانتية لم تشهد بالضرورة تطورًا رأسماليًّا، بينما شهدت مجتمعات غير

بروتستانتية مثل اليابان نموًا رأسماليًّا ملحوظًا في العصر الحديث دون أن يكون لها خلفية كالفينية (Collins, Randall., 1986, p. 132).

ثالثًا: الانتقادات اللاهوتية:

من الناحية اللاهوتية، يرى بعض الباحثين أنّ فيبر أساء فهم بعض التعاليم الكالفينية، فالكالفينية لم يكن هدفها تعزيز الروح المادية أو التراكم الرأسمالي، بل ركزت أساسًا على الخلاص الروحي والالتزام الديني؛ ومن ثمفإنّ الربط بين اللاهوت الكالفيني والرأسمالية هو أمر مبالغ فيه (Tawney, R.H., 1926, p. 88).

رابعًا: الانتقادات الاقتصادية:

يشير بعض الاقتصاديين إلى أنّ نشوء الرأسمالية الحديثة ارتبط أكثر بالثورة الصناعية، والتقدم التكنولوجي، والاكتشافات الجغرافية، والتوسع الاستعماري، وهي عوامل اقتصادية ومادية بحتة لا علاقة مباشرة لها بالكالفينية (Landes, David S. *The Wealth and Poverty of Nations*, 1998, p. 217).

ومع ذلك، فإنّ أطروحة فيبر ما تزال ذات قيمة كبيرة، لأنها أبرزت دور الأفكار والقيم الدينية في التأثير على السلوك الاقتصادي والاجتماعي، حتى لو لم تكن العامل الحاسم الوحيد. فهي تذكّرنا بأنّ الظواهر الاقتصادية لا يمكن فهمها بمعزل عن السياقات الدينية والثقافية، وأنَّ (روح الرأسمالية) ليست مجرد نظام اقتصادي، بل منظومة أخلاقية وقيمية أيضًا.

إذن يمكن القول إنّ نقد أطروحة فيبر لا يلغي أهميتها، بل يضعها في إطار أكثر توازنًا، فالكالفينية ربما لم تكن السبب الوحيد لنشوء الرأسمالية، لكنها كانت بلا شك عاملًا مساهمًا في صياغة بعض ملامحها، لا سيما في السياق الأمريكي حيث تداخل الدين مع الاقتصاد بشكل فريد.

المطلب الثاني: مقارنة بين أثر الكالفينية في أوروبا وأمريكا:

يُعتبر أثر الكالفينية في أوروبا وأمريكا من أبرز الشواهد على اختلاف المسارات التاريخية والاجتماعية باختلاف السياقات. فعلى الرغم من انطلاق الكالفينية من أوروبا في القرن السادس عشر، إلا أن أثرها في أمريكا كان أكثر عمقًا واستمرارية، وهو ما جعل العديد من الباحثين يعتبرون الولايات المتحدة النموذج الأبرز لتجسيد القيم الكالفينية في الحياة العامة، ونتناول ذلك في نقاط محددة:

أولًا: الآثار الكالفينية في أوروبا:

انتشرت الكالفينية في أوروبا بشكل واسع، في سويسرا (جنيف مركز كالفن نفسه)، وهولندا، واسكتلندا، وأجزاء من فرنسا (الهوغونوت). وقد ساهمت في تكوين الثقافة الانضباطية الصارمة

التي أثّرت في نظم التعليم والسياسة والإدارة، ورغم ذلك، فإن تأثيرها الاقتصادي كان متفاوتًا؛ إذ واجهت مقاومة شديدة من الكنيسة الكاثوليكية والسلطات السياسية، مما قلل من استمرارية نفوذها الاقتصادي (Greengrass, Mark. *The European Reformation*, 1991, p. 201).

كما شهدت أوروباتنوعًا دينيًا واسعًا (كاثوليكية، لوثرية، أنغليكانية، كالفينية)، وهذا جعل القيم الكالفينية مجرد عنصر ضمن فسيفساء أوسع من القيم المسيحية المختلفة؛ ومن ثم لم تستطع الكالفينية وحدها أن تصوغ نموذجًا اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا مستقلًّا تمامًا (Schilling, Heinz. *Religion, Political Culture and the Emergence of Early Modern Society*, 1992, p. 142).

ثانيًا: الآثار الكالفينية في أمريكا:

أما في الولايات المتحدة، فقد حمل المستوطنون الأوائل من البيوريتان (الطهرانيين) الكالفينية إلى (العالم الجديد)، وهناك بعيدًا عن سلطة الكنيسة الكاثوليكية والصراعات الأوروبية وجدت الكالفينيون البيئة الخصبة لتجسيد مبادئهم، فقد تجلّت القيم الكالفينية في التركيز على العمل الدؤوب، الانضباط الذاتي، والاعتقاد بأن النجاح الدنيوي علامة على الاختيار الإلهي، وهي قيم أصبحت جزءًا لا يتجزأ من "الحلم الأمريكي" (Noll, Mark A. *America's God: From Jonathan Edwards to Abraham Lincoln*, 2002, p. 88).

وقد انعكست هذه القيم على تكوين النظام السياسي الأمريكي الذي منح أهمية كبيرة للفردية والحرية الدينية، وكذلك على النظام الاقتصادي الذي شجع على ريادة الأعمال، والاعتماد على الذات؛ فلم يكن غريبًا أن يرى ماكس فيبر في التجربة الأمريكية تجسيدًا عمليًّا لما أسماه الروح الرأسمالية (Weber, Max. *The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism*, 1905, p. 102).

ثالثًا: مقارنة شاملة:

- **في أوروبا:** لعبت الكالفينية دورًا دينيًا وثقافيًا مهمًا، لكنها اصطدمت بحدود سياسية ودينية جعلت أثرها الاقتصادي محدودًا نسبيًّا.
- **في أمريكا:** اندمجت الكالفينية في نسيج الهوية الوطنية والاجتماعية، وأصبحت جزءًا من الأخلاق العامة، وأسست لرؤية جديدة حول العمل والنجاح.

فترتب على ذلك: أصبحت الكالفينية في أمريكا قاعدة لتشكيل القيم الاقتصادية والاجتماعية التي استمرت حتى اليوم، بينما كانت الكالفينية في أوروبا حركة دينية ضمن صراعات طائفية

وسياسية؛ فلم تكن ذات تأثير جذري (Hart, D.G. *Calvinism: A History*, 2013, p. 233).

يتضح من ذلك أن السياق التاريخي والسياسي هو العامل الحاسم في تحديد مدى تأثير الكالفينية. فإذا كانت في أوروبا مجرد تيار إصلاحي محاصر، فإنها في أمريكا تحولت إلى منظومة قيمية شكّلت أساسًا لثقافة (الرأسمالية البروتستانتية).

المطلب الثالث: الآثار النقدية للكالفينية على المجتمعات الإسلامية:

تأثير الكالفينية على المجتمعات الإسلامية:

تُعَدّ البروتستانتية الكالفينية، بما تحمله من مبادئ لاهوتية وممارسات تبشيرية، تيارًا مسيحيًّا أثّر في المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ؛ حيث ظهر أثرها بوضوح في مجالات الفكر والقيم الاجتماعية، من خلال الاحتكاك المباشر (التبشير، التعليم، المؤسسات الطبية)، أو عبر الخطاب اللاهوتي الذي يصوّر الإسلام ديانة بحاجة إلى إصلاح أو تصحيح. وقد ولَّد هذا التداخل أثرًا سلبيًّا على القيم الإسلامية المستقرة. وتجلت تلك الآثار المنتقدة من خلال:

1. محاولة زعزعة الهوية الدينية:

– ركز التبشير البروتستانتي الكالفيني على الشباب من خلال المدارس والمراكز الثقافية؛ مما خلق حالة من الازدواجية القيمية بين ما يتلقاه المسلم في بيئته الدينية وما يتعرض له في المؤسسات التعليمية والتثقيفية (السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم ،التعليم التنصيري أهدافه وأساليبه – دراسة تحليلية– مجلة: حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة المنصورة – المجلد: 16 – العدد: 33 – الصفحات: 111–201 – سنة

2– التأثير في منظومة القيم الاجتماعية:

– ركّزت الإرساليات البروتستانتية الكالفينية على نشر القيم فردية (مثل الحرية الشخصية المطلقة في الاعتقاد) على حساب القيم الإسلامية الجماعية (مثل المسؤولية المجتمعية، وحدة الأمة، والالتزام بالشرع). (خالد محمد نعيم، الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر (1756–1986) دراسة وثائقية، دار المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، 1988م).

3–محاولة إعادة تشكيل القيم الأخلاقية:

– من خلال التعليم والخدمات الطبية، سعت الإرساليات البروتستانتية إلى تقديم نموذج "الحياة المسيحية المثالية"، مما خلق حالة من الانبهار لدى بعض الفئات، وأدّى إلى تقليل التقدير للقيم الأخلاقية الإسلامية الأصيلة.

Christian missionary activity in the Islamic world: objectives) methods and manifestations" في مجلة Afro-Asian Journal of Scientific Research، 2025.

4- إضعاف الولاء للهُوية الإسلامية:

- استهدفت المؤسسات البروتستانتية (مثل الجامعة الأمريكية بالقاهرة) تكوين طبقة من الشباب المسلم المتأثر بالثقافة الغربية البروتستانتية الكالفينية، وهو ما انعكس على أنماط تفكيرهم، بل وأحيانًا على ولائهم الديني والوطني. (دراسة وثائقية "أهداف الجامعة الأمريكية في القاهرة.. من النشأة حتى عام 1980" (إخوان ويكي).

الخلاصة النقدية:

أثّر الفكر البروتستانتي الكالفيني في المجتمعات الإسلامية عبر:

- تقويض بعض جوانب الهوية الدينية الإسلامية.
- زرع القيم الفردية التي تتعارض مع القيم الإسلامية الجماعية.
- محاولة فرض نموذج أخلاقي بديل.
- عمل شرخ في الانتماء الديني والثقافي لبعض الفئات داخل المجتمعات الإسلامية لاسيما الشباب والناشئة.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن البروتستانتية الكالفينية لم تكن مجرد حركة دينية ضيقة، بل هي منظومة فكرية وأخلاقية شاملة أسهمت بشكل ملموس في تشكيل المجتمعات الحديثة، لا سيما في العالم الغربي والولايات المتحدة الأمريكية أنموذجًا. فقد أظهرت الدراسة أن جذور الكالفينية الفكرية والدينية، المبنية على سيادة الله المطلقة، ومفهوم الاختيار الإلهي، والانضباط الأخلاقي، لم تقتصر على الجوانب الروحية فقط، بل امتدت لتؤثر في البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مما يجعلها عاملًا محوريًّا في فهم الحداثة الغربية.

أولًا على المستوى الفكري والعقدي، تبين أن الكالفينية أسست رؤية شاملة للحياة، تربط بين الإيمان والسلوك اليومي. فهي تؤكد على أن النجاح الاقتصادي والعمل الدؤوب ليسا مجرد نتيجة مجهود شخصي، بل دليل على النعمة الإلهية، وهذا المفهوم ساهم في تكوين ثقافة الالتزام والانضباط، التي أسهمت لاحقًا في صعود الرأسمالية الحديثة، كما أشار ماكس فيبر في تحليله التاريخي للأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية.

ثانيًا: على المستوى الاجتماعي، أوضحت الدراسة أن الكالفينية عززت قيم الرقابة الذاتية والمسؤولية الفردية، وأدت إلى إنشاء مجتمعات أكثر تنظيمًا وانضباطًا، وهو ما انعكس في

المؤسسات التعليمية والخيرية في أوروبا وأمريكا. فالمجتمعات التي تأثرت بالكالفينية شهدت تقديرًا عاليًا للتعليم، واستقلالية الفرد، وانخراطًا فعالًا في الحياة العامة، ما ساعد في بناء أساسيات المجتمعات الحديثة القائمة على القانون والنظام والعدالة.

ثالثًا: على المستوى السياسي، وضَّح البحث أن الكالفينية أسهمت في تطوير الفكر الديمقراطي في الغرب، من خلال تأكيدها على فكرة أن السلطة يجب أن تكون مسؤولة أمام الله وأمام المجتمع، وأن الرقابة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم عنصر جوهري لضمان العدالة. وهذا التأثير تجلى بوضوح في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث استخدم المستوطنون الكالفينيون العهد الكنسي كأساس لتنظيم المجتمعات الأولى، مما وضع بذور القيم الديمقراطية الليبرالية التي أصبحت لاحقًا جزءًا من دستور البلاد وهويتها السياسية.

رابعًا: على المستوى الاقتصادي، أظهرت الدراسة أن الكالفينية ساهمت في ترسيخ أخلاقيات العمل والادخار والاستثمار، ورفض الترف والإسراف، وهو ما أوجد بيئة مناسبة لنشوء الرأسمالية الصناعية والتجارية في الغرب، ومن ثم ساعدت في بناء اقتصاد قوي ومتنوع في الولايات المتحدة. كما تبين أن القيم الكالفينية لعبت دورًا في تشكيل الثقافة الاستهلاكية المنظمة والتخطيط الاقتصادي الفردي، وهو ما شكل جزءًا من الهوية الأمريكية الحديثة.

خامسًا: على المستوى الثقافي، أظهرت الدراسة أن الكالفينية أثرت في الأدب والفن والتعليم، حيث ظهرت قيم الخطيئة والخلاص في الروايات والفنون الأمريكية، كما ساعدت على تأسيس مؤسسات تعليمية عريقة مثل جامعات هارفارد ويل، والتي لم تكن مجرد أماكن لتلقي العلوم، بل مراكز لبناء القيم الأخلاقية والدينية. وقد امتد هذا التأثير ليشمل الحياة الاجتماعية والثقافية، بما في ذلك قوانين العمل، والنظام العائلي، والمشاركة المجتمعية، وتأسيس شبكة قوية من القيم الأخلاقية.

سادسًا: على المستوى الدولي والسياسة الخارجية، بيّنت الدراسة أن الكالفينية غذت فكرة أن أمريكا أمة مختارة لها رسالة عالمية، وهو ما انعكس في مفاهيم مثل "القدر المحتوم" Manifest Destiny، وأثر في سياسات التدخل الخارجي الأمريكي، حيث اعتبرت أن نشر الديمقراطية والقيم الغربية مهمة دينية وأخلاقية. وهذا الجانب يعكس مدى تأثير العقيدة الدينية على السلوك السياسي والمجتمعي على مستوى الدولة.

وأخيرًا، توصل البحث إلى أن الكالفينية، رغم تحديات العصر الحديث، بما في ذلك العلمانية والتعددية الدينية والنقد الاجتماعي، لا تزال تشكل جزءًا من الهوية الثقافية والأخلاقية الأمريكية، فهي قد تتراجع كنسق عقائدي صارم، لكنها مستمرة كإرث ثقافي وفكري وأخلاقي يؤثر في التعليم

والسياسة والعمل الاقتصادي، وقدرتها على التكيف مع التغيرات العالمية تمنحها فرصة للبقاء كعنصر مؤثر في المجتمع الأمريكي والعالم الغربي عامةً.

النتائج الرئيسية

1. الكالفينية أسهمت في تشكيل الأخلاقيات الفردية والاجتماعية التي دعمت صعود الرأسمالية.
2. الكالفينية أثرت في تكوين الفكر السياسي الديمقراطي في الولايات المتحدة.
3. المبادئ الكالفينية أسست لثقافة التعليم والانضباط والالتزام المجتمعي.
4. الكالفينية غذت الهوية الثقافية والدينية الأمريكية، وما زالت تؤثر على المؤسسات التعليمية والسياسية.
5. تأثير الكالفينية تجاوز حدود الدين إلى الاقتصاد والسياسة والثقافة والفنون.
6. رغم التحديات المعاصرة، تظل الكالفينية إرثًا مؤثرًا في الهوية الأمريكية والعالم الغربي.

قائمة المراجع

أولًا: المراجع العربية:

1- الهاشمي، الكالفينية وأثرها في الفكر الاقتصادي الحديث.
2- ناصف، تاريخ الفكر الغربي، 1998، ج2، ص 217.
3-الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة..
4-السماك، البروتستانتية والسياسة الدولية.
5-السيد، الجماعة والسلطة والأمة،
6- المسيري، عبد الوهاب، 2002، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة.
7- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1994م.
8- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
9- السعيد ، شعبان الدسوقي إبراهيم ، 2004م،التعليم التنصيري أهدافه وأساليبه – دراسة تحليلية- مجلة: حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة المنصورة - المجلد: 16 - العدد: 33 .
10- نعيم، خالد محمد ، 1988م ،الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر (1756-1986) دراسة وثائقية، دار المختار الإسلامي للنشر والتوزيع
11- ويكي، إخوان ،دراسة وثائقية أهداف الجامعة الأمريكية في القاهرة.. من النشأة حتى عام 1980).

المراجع المترجمة:

1- بيللا، الدين في أمريكا،
2- جونستون، 2001، الفكر المسيحي الحديث
3- فيبر، 2004، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية
4- كالفن، 1987، مؤسسات الدين المسيحي.
5- هنتنغتون ، 2005، من نحن؟ الهوية الوطنية الأمريكية في مواجهة العولمة.
6-شاخت، 1990، تاريخ الكنيسة

ثانيًا: المراجع الإنجليزية:

1. Bush, George W. (2010). Decision Points. p. 112.
2. Collins, Randall. (1986). Weberian Sociological Theory. p. 132.
3. Emerson, Ralph Waldo. (1841). Self-Reliance and Other Essays. p. 15.
4. Gaustad, Edwin S. (1990). A Religious History of America. p. 103.

5. Hart, D.G. (2013). Calvinism: A History. p. 233.
6. Hatch, Nathan O. (1989). The Democratization of American Christianity. p. 67.
7. Held, D., & McGrew, A. (2007). Globalization/Anti-Globalization: Beyond the Great Divide. Polity Press.
8. Landes, David S. (1998). The Wealth and Poverty of Nations. p. 217.
9. Marsden, George M. (1990). Religion and American Culture. p. 152.
10. Miller, Perry. (1956). Errand into the Wilderness. p. 102.
11. Morgan, Edmund S. (1958). The Puritan Dilemma: The Story of John Winthrop. p. 119.
12. Noll, Mark A. (1992). A History of Christianity in the United States and Canada. p. 178.
13. Rutman, Darrett B. (1965). Winthrop's Boston: Portrait of a Puritan Town, 1630-1649. p. 67.
14. Schilling, Heinz. (1992). Religion, Political Culture and the Emergence of Early Modern Society. p. 142.
15. Tawney, R.H. (1926). Religion and the Rise of Capitalism. p. 88.
16. Weber, Max. (1930). The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism. London: Allen & Unwin. (وتتضمن اقتباس صفحة 62 من طبعة 1905).
17. Winthrop, John. (1630). A Model of Christian Charity. p. 47.
18. [المؤلف غير مذكور]. (2025). "Christian missionary activity in the Islamic world: objectives, methods and manifestations". Afro-Asian Journal of Scientific Research.